الفضاء والعدم

للأستاذ نقولا الحداد

استأذن الكاتب الكبير الأستاذ العقاد بأن أقفى على مقاله « أساطير الآخرين » فى ١٣ أكتوبر الحالى من الرسالة بكلمة فى موضوع العدم والفضاء .

العدم اسم لغير مسمى . أعنى أنه لا يوجد فى الوجود شىء أو كان يصح أن يسمى « عدماً » هو فى غير لغتنا « لا شىء » وفى نفسنا هو لا شىء أيضاً . واللاشىء ليس ذاتية حتى يعرف أو يوصف أو « تفسر له ماهية »

أما الفضاء فهو الحيز الذى تشغله أو تشغل بعضه مادة ذات حدود . وأما الخلاء فهو الفراغ بين مادة ومادة . والمادة تحده ولهذا يمكن أن يقاس بمقياس

يستحيل علينا أن نتصور الفضاء فراغاً مطلقاً خلواً من مادة مهما أمعنا فى التصور

لولا وجود المادة لما كان فضاء البتة . هل تستطيع أن تتصور فضاء فارغاً لا شىء فيه . تصور وقل لى ماذا تتصور

المادة كثيفة كانت أو لطيفة قضت بوجود الفضاء (الحيز) إنف المادة ينتف الفضاء . هذا هو العدم — اللاشىء

فهذا الحيز الذى نسميه فضاء لابد أن يكون مشغولا بمادة حتما . المادة نوعان : كثيفة وهى الأجرام الفلكية التى نحس بوجودها بالحس البصرى . ولطيفة وهى الأشعة الموجية الكهرطيسية (الكهربائية المغنطيسية) التى نحس بها بالبصر كالنور أو بالآلات الرصدية المختلفة كأمواج اللاسلكى غير المنظورة

أما أن النور وكل درجة من درجات الكهرطيسية كالأشعة السينية وأشعة ما فوق البنفسجى وتحت الأحمر هى أمواج أو تموّج فحقيقة لا شك فيها لأن العمليات الامتحانية العديدة لاكتشاف طبيعة النور وحركة اللاسلكى فى الفضاء أثبتت بوضوح أن هذه الأشعة الكهرطيسية هى موجات فى الفضاء

فلذلك تساءل العلماء فيما بينهم : ما هو هذا الشىء المتموج ؟

لم يستطيعوا جواباً على السؤال إلا بفرض الأثير . وهو فى نظرهم مادة متناهية فى اللطف تملأ هذا الفضاء . وذرات المادة أو ذيراتها السابحة فى الفضاء الثائرة الحركة فيه تصدم هذا البحر الأثيرى فيتموج وأمواجه تصدم مشاعرنا البصرية والعصبية فنحس بوجود تلك المواد الثائرة . فالكهرطيسية فى نظرهم هى تلك الأمواج الأثيرية . وهى ما يسمونه بالاشعاع Rodiation

ولكن هذا التعليل الكهرطيسية (التى منها النور) لم يكشف لهم بقية أسرار الوجود . فقد رأى العلماء فى سياق أبحاثهم أن هذا الإشعاع ليس مجرد صدم المادة أو ذراتها لبحر الأثير فقط بل هو أيضاً انتثار ذريرات من الجسم المادى فى هذا البحر (ويسميها العلماء فوتونات) وهى من ضرب ذريرات الأثير بعينها . وبعض العلماء يعتقدون أن مادة الأكوان مؤلفة من فوتونات الأثير . أى إن الأثير هو أصل المادة — هو الهيولى

ولهذا وجد العلماء أنفسهم أمام نظريتين مختلفتين بشأن النور وكل إشعاع كهرطيسى : الأولى أمواج أثيرية يحدثها اصطدام ذرات المادة ببحر الأثير . والثانية تدفق فوتونات المادة فى هذا البحر انحلت إليها ذرات المادة ، فجرت فيه كما يتدفق ماء المطر فى البحر فيجرى فيه . وهذا سمى بجايمس تجميز هذا الإشعاع الكهرطيسى Wave Cle مشتقة من Wave و Particle بغية جمع النظريتين فى نظرية واحدة

أعود إلى مظنة الزهاوى إن الله هو الأثير

والظاهر أن الزهاوى بقوله هذا يريد أن يعرفنا بحقيقة الله فى الطبيعة فخاب قصداً . لأن المفهوم من معنى الألوهية عند الكتابيين أن الله روح غير منظور سرمدى (أبدى أزلى) خالق كل شىء وقادر على كل شىء وموجود فى كل زمان وكل مكان وهذا الوصف لا ينطبق على طبيعة الأثير فى كل شىء لا ينطبق عليه فى أن الأثير خالق كل شىء بل كل المادة الكونية مؤلفة منه ولكنه لم يؤلفها هذا فى رأى علماء هذا العصر . وليس الأثير قادراً على كل شىء أو ليس له قدرة ولا قوة بحد ذاته وإنما هو الوسط الذى تتحرك فيه مادة الأكوان

ولو قال إن قوة الجاذبية هى الله أو أنها الأداة التى بيد الله وبها يحرك الله الأكوان جميعاً ، وكل حركة كلية أو جزئية صادرة من قوة الجاذبية لربما اقترب من الحقيقة لأن الجاذبية قوة سرمدية موجودة فى كل زمان ومكان وبها تتحرك جميع الأكوان عظيمها وصغيرها من أدق الحركات الكونية إلى أعظم حركات الاجرام الفلكية . والله أعلم

نقولا الحداد